المكتبة الخضراء للأطفال

١٩

الليمون العجيب



DVD4ARAB

بقلم: عادل الغضبان

دار المعارف

المكتبة الخضراء للأطفال

الليمون العجيب

بقلم: عادل الغضبان

الطبعة الثالثة



دار المعارف

عَاشَ فِى الْأَزْمِنَةِ الْقَدِيمَة، مَلِكٌ لَمْ يُرْزَقْ إِلَّا بِوَلَدٍ واحِد، كانَ يُحِبُّهُ حُبًّا شَدِيدًا ، وَكانَ هٰذا الابْنُ هُوَ الْأَمَلُ الْوَحِيدُ لِأُسْرَةٍ تَكادُ تنقَرِض ، وَكانَ هَمُّ أبيهِ الْأَوْحَد ، أَنْ يُزَوِّجَهُ وَيَختارَ لَهُ عَرُوسًا نَبِيلَةً غَنِيَّةً جَمِيلَة ، رَقِيقَةَ الْحاشِيَةِ طَيِّبَةَ الْقَلْب ، فَما كانَ يَحْلُمُ فِى أَثْناءِ مَنامِه ، إِلَّا بِأَنَّهُ أَصْبَحَ جَدًّا ، يَحِفُّ حَوالَيْهِ جَيْشٌ مِنَ الْأَبْناءِ الصِّغَار ، وَيَطْبَعُ عَلَى خُدُودِهِمْ قُبُلاتِهِ الْحارَّة .

وَلَقَدْ كانَ هٰذا الابْن : يَتَحَلَّى بِفَضائِلَ كَثِيرَة ، وَلٰكِنَّهُ كانَ إِذا فُوتِحَ بِأَمْرِ الزَّوَاج، جَمَحَ كالْفَرَسِ الْمُتَوَحِّشَة، وَهَرَبَ إِلَى الْغابَات ، وَتَرَكَ وَالِدَهُ فِى حُزْنٍ ما بَعْدَهُ حُزْن، وَكَثِيرًا ما بَذَلَ لَهُ النُّصْحَ نُخْبَةٌ مِنْ رِجالاتِ الدَّوْلَة، فَما أَثَّرَتْ فِيهِ بَلاغَتُهُم ، وَلا رَجَعَتْهُ دُمُوعُ أَبِيه عَنْ عِنادِه .

واتَّفَقَ ذاتَ يَوْمٍ أَنْ كانَ الْأَمِيرُ يَتَناوَلُ طَعَامَ الْإِفْطَار ،



وَأَبُوهُ يَكِيلُ لَهُ الْعِظَةَ بَعْدَ الْأُخْرَى، والْأَمِيرُ مَشْغُولٌ عَنْها بِرُؤْيَةِ الذُّبابِ يَتَطايَرُ مِنْ حَوْلِه ، فَنَسِىَ أَنَّهُ يَحْمِلُ سِكِّيناً فِى يَدِه ، وَأَتى بِحَرَكَةٍ تَدُلُّ عَلَى قِلَّةِ الصَّبْرِ ، فَجَرَحَ إِصْبَعاً مِنْ أَصابِعِه ، وَتَدَفَّقَ مِنْها الدَّمُ واسْتَقَرَّ فِى صَحْنٍ مِنَ الْقِشْدَةِ كانَ أَمامَه ، فَذَهِلَ مِنْ ذٰلِكَ الْخَلِيطِ الْوَرْدِىِّ الَّذِى نَشَأَ مِنْ لَوْنِ الدَّمِ وَلَوْنِ الْقِشْدَةِ ، واهْتَزَّتْ نَفْسُه ، وَتَغَيَّرَ تَفْكِيرُهُ

فَجْأَة ، وَقالَ يُخاطِبُ والِدَه :

— « مَوْلاى ! إِنْ لَمْ أَجِدْ فِى الْقَرِيبِ الْعاجِل ، عَرُوسًا فِى لَوْنِ هٰذِهِ الْقِشْدَةِ الْمَمْزوجَةِ بِدَمى ، فَإِنّى رَجُلٌ هالِكٌ لا مَحالَة ، فَهٰذِهِ الْعَرُوسُ الْفَتّانَة ، لا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِى مَكانٍ مِنَ الْأَمْكِنَة . . ، فَأَنا أُحِبُّها ، بَلْ أَذُوبُ بِها غَرامًا ، وَلا شَىْءَ مُسْتَحِيلٌ فِى الْحَياةِ عَلَى الْقَلْبِ الْحازِم ، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ أَحْيا ، فَاسْمَحْ لِى أَنْ أَجُوبَ الْبِلادَ لِأَعْثُرَ عَلَى فَتاةِ أَحْلامِى ، وَإِلاَّ هَلَكْتُ مُنْذُ غَدٍ فَرِيسَةً لِلرَّغْبَةِ والْحُزْنِ والضَّجَر » .

حَدَثَ وَلا عَجَبَ عَنْ أَثَرِ هٰذِهِ الْكَلِماتِ الْمَجْنُونَةِ فِى قَلْبِ الْمَلِك ، فَقَدْ خُيِّلَ إِلَيْهِ أَنَّ قَصْرَهُ قَدْ تَهَدَّمَ عَلَى رَأْسِه ، فَاصْفَرَّ واحْمَرّ ، وَتَمْتَمَ وَبَكَى ، وَعادَ إِلَيْهِ رُشْدُهُ فِى نِهايَةِ الْأَمْر ، وَقالَ يُجِيبُ عَنْ كَلامِ ابْنِه :

— « يا وَلَدِى ، وَيا عَصا شَيْخُوخَتِى ، وَدَمَ قَلْبِى ! أَىُّ فِكْرٍ

غَرِيبٍ جالَ فِى خاطِرِكَ ؟ هَلْ فَقَدْتَ رُشْدَكَ ؟ بِالْأَمْسِ جَعَلْتَنِى أمُوتُ غمًّا ، حِينَ رَفَضْتَ أنْ تَتَزَوَّجَ وَتُقِرَّ عَيْنِى بِأَبْناءٍ تَرِثُنِى ، وَالْيَوْمَ تَوَدُّ أنْ تَقْضِىَ عَلَىَّ إِذْ أَرَاكَ تَعْتَنِقُ الْأَوْهام ، فَإِلَى أَيْنَ تُرِيدُ أنْ تَذْهَبَ أيُّها الْغَبِىّ ؟ وَلِماذا تَتْرُكُ مَنْزِلَكَ وَمَهْدَكَ وَمَوْطِنَكَ ؟ أتَعْرِفُ الْأَخْطَارَ والْمَصاعِبَ الَّتِى تَتَعَرَّضُ لَها فِى سَفَرِكَ ؟ فاتْقِ عَنْكَ هٰذِهِ الْأَهْواءَ الْخَطِرَة ، وابْقَ مَعِى ياوَلَدِى إذا شِئْتَ أَلَّا تَنْتَزِعَ مِنِّى الْحَياة ، وَتَهْدِمَ بِضَرْبَةٍ واحِدَةٍ عَرْشَكَ وَبَيْتَك ! »

ذَهَبَتْ هٰذِهِ الْكَلِماتُ وَغَيْرُها ضَياعًا ، وَبَقِىَ الْأَمِيرُ عَبُوسَ الْوَجْه ، مُقَطَّبَ الْجَبِين ، لا يَرَى إِلَّا الرَّأْىَ الَّذِى يُرْضِيه ، حَتَّى إذا تَعِبَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مِنْ سَكْبِ الدُّمُوعِ وَبَذْلِ الرَّجاء ، تَنَهَّدَ تَنَهُّدَةً طَوِيلَة ، وَقَرَّرَ أنْ يَأْذَنَ لِابْنِهِ فِى السَّفَر ، فَزَوَّدَهُ بِطَائِفَةٍ مِنْ نَصائِحَ أَصَمَّ أُذُنَيْهِ عَنْها ، وَبِأَكْياسٍ مِنَ النُّقُودِ



رَحَّبَ بِها أَكْثَرَ مِنْ تَرْحِيبِهِ بِنَصائِحِ أَبِيهِ ، وَأَرْسَلَ مَعَهُ خادِمَيْنِ أَمِينَيْنِ ، وَضَمَّ هٰذَا الابْنَ الْعَاقَّ إِلَى صَدْرِهِ مُوَدِّعًا ، وَصَعِدَ ، وَقَلْبُهُ يَتَقَصَّفُ حُزْنًا ، إِلَى أَعْلَى بُرْجٍ مِنْ أَبْراجِ الْقَصْرِ ، لِيَتْبَعَ ابْنَهُ بِأَنْظارِهِ أَطْوَلَ مُدَّةٍ مُمْكِنَةٍ .

فَلَمّا غابَ الأَمِيرُ وَراءَ الأُفُقِ ، ظَنَّ الْمَلِكُ الْمِسْكِينُ أَنَّ حُشاشَتَهُ هِيَ الَّتِي غابَتْ عَنْ ناظِرَيْهِ ، فاعْتَمَدَ رَأْسَهُ بِكَفَّيْهِ وَأَجْهَشَ بِالْبُكاءِ ، لا بُكاءَ طِفْلٍ مِنَ الأَطْفالِ ، بَلْ بُكاءَ والِدٍ عَلَى وَلَدِهِ . . . إِنَّ دُمُوعَ الطِّفْلِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الصَّيْفِ ، يَنْهَمِرُ قَطَراتٍ كَبِيرَةً وَلٰكِنْ لا تُبَلِّل ، فِي حِينِ أَنَّ دُمُوعَ الْوالِدِ هِيَ مِثْلُ مَطَرِ الْخَرِيفِ ، يَنْهَمِرُ فِي هُدُوءٍ وَلٰكِنَّهُ لا يَجِفّ .

حِينَما كانَ الْمَلِكُ مَهْمُومًا مَغْمُومًا ، كانَ ابْنُهُ الأَمِيرُ راكِبًا صَهْوَةَ جَوادٍ أَصِيل ، وَقَدْ هَمَّ أَنْ يَنْطَلِقَ بِهِ إِلَى أَقاصِي الْبِلادِ



بَحْثًا عَنْ ضَالَّتِهِ .

وَبَدَأَ صَاحِبُنَا يَنْتَقِلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَد ، وَيَزُورُ الْمُدُنَ والْقُرَى

والْقُصُورَ والْأَكْوَاخ ، يُحَدِّقُ فِيها إِلَى وُجُوهِ النِّساء ، وَيُحَدِّقْنَ هُنَّ إِلَيْه ، فَما أَجْدَى بَحْثُهُ وَلا عَثَرَ عَلَى الْكَنْزِ الَّذِى يَحْلُمُ بِه .

وَبَقِىَ عَلَى هٰذا النَّحْوِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ كامِلَة ، قَرَّرَ بَعْدَها أَنْ يُسَافِرَ إِلَى بِلادِ الشَّرْقِ الْأَقْصَى ، فَرَكِبَ مِنْ أَحَدِ الْمَوانِئِ الْأُورُبِيَّة ، سَفِينَةً صَغِيرَةً أَخَذَتْ تَمْخُرُ بِهِ عُبابَ الْماء ، وَتُواجِهُ جِبالَ الْأَمْواجِ الَّتِى كانَتْ تَعْتَرِضُ مَسِيرَها . أَمَّا الْخادِمَانِ فَلَمْ يَسْتَطِيعا أَنْ يُرافِقاهُ فِى تِلْكَ الرِّحْلَة ، فَقَدْ كانَ كُلٌّ مِنْهُما طَرِيحَ الْفِراشِ يُعانِى تَبارِيحَ الْحُمَّى .

وَمَرَّ الْأَمِيرُ فِى طَرِيقِهِ عَلَى مِصْرَ والْهِنْدِ والصِّين ، فَزارَ الْأَقالِيمَ والْأَحْياء ، وَدَخَلَ الْمَنازِلَ والْأَكْواخَ باحِثًا عَنْ أَصْلِ ذٰلِكَ الْوَجْهِ الْجَمِيلِ الَّذِى ارْتَسَمَ فِى مُخَيَّلَتِه ، فَرَأَى فَتَياتٍ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ وَجِنْس ، بَيْنَهُنَّ الشَّقْراءُ والسَّمْراءُ والْحَمْراءُ والصَّفْراءُ والسَّوْداء ، وَلٰكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ بَيْنَهُنَّ مَحْبُوبَتَه .

وَمَا زَالَ يَجِدُّ فِى أَثَرِ الْحَبِيب ، يَتَقَصَّاهُ فِى الْمُدُنِ والْقُرَى ، فِى الْجِبالِ والسُّهُول ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى الْمَعْمُور، وَوَاجَهَ الْبَحْرَ والسَّماء ، وَقَلْبُهُ مَمْلُوءٌ بِيَأْسٍ قَاتِلٍ بَعْدَ إِذْ خَابَ فِى تَحْقِيقِ حُلْمِه .

وَبَيْنَما كانَ يَمْشِى عَلَى الشَّاطِئِ فِى خُطَى وَاسِعَة ، لَمَحَ شَيْخًا يَتَدَفَّأُ بِأَشِعّةِ الشَّمْس ، فَدَنا مِنْهُ وَسَأَلَهُ قائِلا :



– « هَلْ هُناكَ يا سَيِّدِى شَىْءٌ وَراءَ هٰذِهِ الْأَمْواجِ الْمُتوارِيَةِ وَراءَ الأُفُق ؟

فَقَالَ لَهُ الشَّيْخ :

– « كَلاَّ أَيُّها الشَّابّ ، فمَا مِنْ أَحَدٍ قَدْ عَثَرَ عَلَى شَىْء فِى هٰذا الْبَحْرِ الْخَالِى مِنَ الْجُزُرِ والشَّواطِىء ، وَلا مِنْ مُغامِرٍ رَجَعَ بَعْدَ رِحْلَتِهِ إِلَى ما وَراءَ هٰذا الْأُفُق ، وَإِنِّى لَأَذْكُرُ عِنْدَما كُنْتُ صَبِياً ، أَنْ سَمِعْتُ شُيُوخَنا يَقولُونَ إِنَّ وَراءَ هٰذا الْأُفُق ، جَزِيرَةً تَسْكُنُها الْجِنِّياتُ الشِّرِّيرَات ، والْوَيْلُ لِلأَحْمَقِ الَّذِى يَقْتَرِبُ مِنْهُنّ ، إِنَّ مَنْظَرَهُنَّ يَبْعَثُ عَلَى الْمَوْت » .

فَصاحَ الْأَمِير :

– « إِنِّى لَأَقْتَحِمُ الْجَحِيمَ فِى سَبِيلِ أَنْ أُحَقِّقَ حُلْمِى ! »

وَكانَ هُنَاكَ زَوْرَقٌ صَغِير ، فَقَفَزَ الْأَمِيرُ إِلَيْه ، وَأَرْخَى الشِّراع ، وَدَفَعَتِ الرِّيحُ الزَّوْرَقَ فَسارَ فِى عُرْضِ الْبَحْر ، وابْتَعَدَتِ

الأَرْضُ بعْدَ قَلِيلٍ مِنْ نظَرِ الْأَمِيرِ ، وَأَلْفَى نفْسَهُ فِى وَسْطِ
الأَمْوَاجِ ، يُحِيطُ بِهِ الْبَحْرُ مِنَ الْجِهاتِ الْأَرْبَعِ ، وَبَقِى يَسِيرُ
عَلَى غَيْرِ هُدًى فِى ذٰلِكَ الْمُحِيطِ، حَتَّى صَاحَ فَجْأَةً صَيْحَةَ الْفَرَحِ



وَالاِسْتِبْشَار، وكَانَ قَدْ لَمحَ عَلَى الْبُعْدِ نُقْطَةً سَوْدَاء ، فَما هِيَ إِلَّا فَتْرَةٌ وَجِيزَة، حَتَّى حَملَتِ الرِّيحُ الزَّوْرَقَ إِلَى تِلْكَ الْجَزِيرَة ، وَنَزَلَ الْأَمِيرُ بِشاطِئٍ لَمْ يَعُدْ مِنْهُ إِنْسانٌ حَتَّى ذٰلِكَ الْحِين ، وَيَقُومُ عِنْدَ سَفْحِ صُخُورٍ عالِيَةٍ ذاهِبَةٍ فِي الْفَضاء ، وَقَدْ مَزَّقَ الزَّمَنُ رُؤُوسَها.

لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ تَسَلُّقُ تِلْكَ الصُّخُور. فَلا دُرُوبَ فِيها وَلا طَرِيق ، وَحاوَلَ الْأَمِيرُ مَعَ ذٰلِكَ أَنْ يُصَعِّدَ فِيها ، فَوَصَلَ بَعْدَ حِينٍ إِلَى مُنْبَسِطٍ مِنَ الْجِبالِ وَهُوَ دَامِي الْيَدَيْن، يَلْهَثُ مِنَ التَّعَب ، فَوَجَدَ فِيهِ قِطَعًا مِنَ الْجَلِيد ، وَصُخُورًا سُودًا نَاتِئَةً مِنْ وَسَطِ الثُّلُوج ، فَلَا شَجَرَةَ هُناكَ وَلا عُودَ عُشْب ، وَإِنَّما كانَتْ هُنَاكَ صُورَةُ الشِّتاءِ والْمَوْت .

وَلَمْ تَقَعْ عَيْنُهُ فِي ذٰلِكَ الْقَفْرِ الْمُوحِش، عَلَى حَيٍّ مِنَ الْأَحْياء، وَلا عَلَى مَسْكَنٍ مِنَ الْمَساكِنِ سِوَى كُوخٍ حَقِير ، كانَ سَقْفُهُ

الْخَشَبِيُّ مُحَمَّلاً بِحِجارَةٍ ضَخْمَـةٍ يَسْتَطِيعُ بِها مُقاوَمَةَ هُوجِ الرِّياح ، فَلَمَّا اقْـتَرَبَ الْأَمِيرُ مِنْ ذٰلِكَ الْـكُوخ ، رَأَى مَشْهَدًا عَجَبًا لَبِثَ بَعْدَهُ ذاهِلًا صامِتًا مِنَ الْخَوْفِ والدَّهْشَة .

كانَ فِي صَدْرِ الْـكُوخِ لَوْحٌ كَـبِيرٌ مِنَ النَّسِيج ، رُسِمَتْ فِيهِ طَبَقَاتُ النَّاسِ جَمْعاء ، فَمِنْ صُوَرٍ لِلْمُلُوكِ والْجُنود ، والْفَلَّاحِينَ والرُّعَاة ، إِلَى صُوَرٍ لِنِساءٍ يَرْتَدِينَ أَفْخَرَ الْمَلابِس ، إِلَى أُخْرَى لِفَلَّاحَاتٍ يَغْزِلْنَ الصُّـوف ، وَفِي مُقَدِّمَةِ اللَّوْحِ صِبْيَةٌ وَصَبايا يَرْقُصُونَ وَيَمْرَحُون ، وَكانَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ ذٰلِكَ اللَّوْح ، سَيِّدَةٌ عَجُوزٌ بارِزَةُ الْعِظَام ، صَفْراءُ الْبَشَرَة كَـأَنَّها الْمَوْتُ فِي أَبْشَعِ صُوَرِه ، وَقَدِ اعْتَمَدَتْ فِي كَـفِّها مِقَصًّا طَوِيلا ، تَنْقَضُّ بِهِ عَلَى رُسُومِ ذٰلِكَ اللَّوْح ، كُلَّما غاظَها مِنْه رَسْم ، انْقِضَاضَ الْعَنْـكَبُوتِ عَلَى فَرِيسَتِها ، وَتَقُصُّـهُ طُولاً وَعَرْضًا ، وَعَلَى الْأَثَرِ يُسْمَعُ مِنْ وَراءِ اللَّوْح ، صَرَخاتٌ رَهِيبَةٌ تُخِيفُ أَشْجَعَ الْقُلُوب ، فَقَدِ اجْتَمَعَ

فِيها عَوِيلُ الْأَطْفال ، وَنَحِيبُ الْأُمَّهات ، وَشَهِيقُ الشُّيُوخ ، كَأَنَّما تَجَمَّعَ فِي ذٰلِكَ الزَّفِيرِ كُلُّ أَنْواعِ عَذابِ الْإِنْسان ، فَتُقَهْقِهُ لَهُ السَّيِّدَةُ الْعَجُوزُ ضاحِكَة ، وَيُضِيءُ وَجْهُهَا الْبَشِعُ بِنُورِ فَرَحٍ مُتَوَحِّش ، فِي حِينِ تَكُونُ هُناكَ يَدٌ خَفِيَّةٌ تُصْلِحُ ما فَسَدَ مِنْ ذٰلِكَ اللَّوْحِ الدَّائِمِ التَّمْزِيق ، الدَّائِمِ الْإِصْلاح .

كانَتْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَةُ الشَّنْعاءُ قَدْ فَتَحَتْ مِقَصَّها ! وَكادَتْ تَهْوِي بِهِ عَلَى اللَّوْحِ ، فَلَمَّا لَمَحَتْ ظِلَّ الْأَمِير ، صاحَتْ بِهِ قائِلَةً دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ إِلَيْه :

— « أُنْجُ بِنَفْسِكَ أَيُّها الشَّقِيّ ، إِنِّي أَعْرِفُ ما الَّذِي أَتَى بِكَ إِلَى هُنا ، وَلٰكِنَّنِي لا أَسْتَطِيعُ مُعاوَنَتَكَ عَلَيْه ، فَاذْهَبْ إِلَى شَقِيقَتِي ، فَلَعَلَّها تُنِيلُكَ ما أَنْتَ راغِبٌ فِيه ، فَهِيَ الْحَياةُ وَأَنا الْمَوْت ! »

فَلَمْ يَكَدْ صاحِبُنا الْمُغامِرُ يَسْمَعُ هٰذا الْكَلام ؛ حَتَّى أَطْلَقَ


فایزه

ساقَيْهِ لِلرِّيح ، سَعِيدًا بِالْفِرارِ مِنْ ذٰلِكَ الْمَنْظَرِ الْفَظِيع ، ثُمَّ قادَهُ الْمَطافُ إِلَى وادٍ أَخْضَرَ خَصِيب، فِيهِ الْعُشْبُ النَّامى ، والْحَدائِقُ الْمُزْهِرَة ، وَالْكُرُومُ الْمُثْمِرَة ، فَرَأَى فِى ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِ التِّين ، الْقائِمَةِ عَلَى ضِفَّةِ النَّهْر ، سَيِّدَةً ضَرِيرَة ، تُدِيرُ حَوْلَ مِغْزَلِها خُيُوطًا مِنَ الذَّهَبِ والْحَرِير ، وَإِلَى جانِبِها صُفَّتْ مَغازِلُ كَثِيرَة ، دارَتْ عَلَيْها خُيُوطُ الْكَتَّانِ والْقُنَّبِ والصُّوفِ والْحَرِير وَما إِلَى ذٰلِك .

وَلَمَّا انْتَهَتْ هٰذِهِ السَّيِّدَةُ الضَّرِيرَةُ مِنْ عَمَلِها ، مَدَّتْ يَدَها الْمُرْتَجِفَةَ إِلَى مِغْزَلٍ آخَر ، وَبَدَأَتْ بِهِ عَمَلاً جَدِيدًا ، فَحَيَّاها الْأَمِيرُ الْفَتَى تَحِيَّةً جَلِيلَة ، وَحَاوَلَ بِصَوْتٍ مُضْطَرِب ، أَنْ يَقُصَّ عَلَيْها قِصَّةَ رِحْلَتِه ، غَيْرَ أَنَّ الْجِنِّيَّةَ اسْتَوْقَفَتْهُ وَقالَت :

– « لا أَقْدِرُ أَنْ أُنِيلَكَ أَمْرًا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِى تَبْتَغِيها يا وَلَدى ، فَما أَنا إِلاَّ ضَرِيرَةٌ مِسْكِينَةٌ لا أَعْرِفُ أَنا نَفْسِى مَاذَا

أَعْمَل، فَهٰذا الْمِغْزَلُ الَّذِى تناوَلْتُه عرَضًا، سَوْفَ يُحَدِّدُ مَصِير
كُلِّ مَنْ يُولَدُ فِى هٰذِه السَّاعَة ، وَهٰذا الْخَيْطُ الَّذِى لا أَرَاهُ
تَرْتَبِطُ بِهِ السَّعادَةُ أَوِ الشَّقَاء ، وَلَسْتُ أَسْتَطِيعُ لَهُ تَبْدِيلا
فاذْهَبْ إِلَى شَقِيقَتِى الْأُخْرَى ، فَلَعَلَّهَا تُحَقِّقُ رَغْبَتَك ، فَهِىَ
الْمِيلادُ وَأَنا الْحَياة ».

فَقالَ لَها الْفَتى:

– « شُكْرًا لَكِ يا سَيِّدَتى ! »

ثُمَّ هُرِعَ إِلَى لِقاءِ أَصْغَرِ الْجِنِّيات ؛ فَرِحَ الْقَلْبِ سَاكِنَ
الْجَأْش ، فَوَجَدَها جَمِيلَةً مُشْرِقَةً إِشْراقَ الرَّبِيع ، فَكُلُّ شَىْءٍ
مِنْ حَوْلِها يُولَدُ وَيَنْمُو ، فالْقَمْحُ يَشُقُّ الْأَرْضَ وَيَخْرُجُ فِى
سَنابِلَ خُضْر ، وَشَجَرُ الْبُرْتُقالِ تَفَتَّحَ فِيهِ الزَّهْر ، وكَذٰلِكَ
الْحَالُ فِى بَقِيَّةِ الشَّجَر ، أَمَّا أَفْراخُ الدَّجاج ، (الكتاكيت)
وَلَمَّا يَنْبُتْ رِيشُها ، فَتَجْرِى حَوْلَ أُمِّها الْقَلِقَة ، والْحُمْلانُ عاكِفَةٌ

عَلَى ثُدِىّ أُمَّاتِها ، وَكانَ ذٰلِكَ كُلُّهُ أَوَّلَ بَسْمَةٍ لِلْحَياة .

اِسْتَقْبَلَتِ الْجِنِّيَّةُ الْأَمِيرَ اسْتِقْبالاً حَسَنًا ، وَرَحَّبَتْ بِهِ أَجْمَلَ تَرْحِيبٍ وَلَمْ تَهْزَأْ بِجُنُونِهِ ، ثُمَّ دَعَتْهُ إِلَى تَناوُلِ الْعَشاءِ مَعَها ، وَبَعْدَ الْحَلْوَى ، قَدَّمَتْ لَهُ ثَلاثَ لَيْمُونات ، وَسِكِّينًا جَمِيلَةً ذاتَ مِقْبَضٍ مِنَ الْعاجِ وَالْفِضَّة ، وَقالَتْ لَه :

— « يُمْكِنُكَ الْآنَ أَنْ تَعُودَ إِلَى أَبِيك ، فَقَدْ كَسَبْتَ الدَّعْوَى وَعَثَرْتَ عَلَى ضالَّتِكَ الْمَنْشُودَة ، فَارْحَلْ راجِعًا إِلَى مَمْلَكَتِك ، واقْطَعْ لَيْمُونَةً مِنَ اللَّيْمُوناتِ الثَّلاثِ عِنْدَ أَوَّلِ نَبْعٍ تَراهُ فِيها ، وَسَوْفَ يَخْرُجُ مِنَ اللَّيْمُونَةِ الْمَقْطُوعَةِ جِنِّيَّةٌ سَتَقُولُ لَكَ : "اِسْقِنِي" فَقَدِّمْ لَها الْماءَ سَرِيعًا وَإِلَّا تَوارَتْ عَنْكَ فِي الْحال ، وَإِذا غابَتْ عَنْكَ الثّانِيَة ، فَكُنْ حَذِرًا يَقِظًا مَعَ الثّالِثَة ، فاسْقِها تَفُزْ بِعَرُوسٍ كَما يَشْتَهِيها فُؤادُك » .

فَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْأَمِيرِ فَرْحَةٌ ما بَعْدَها فَرْحَة ، فَقَبَّلَ يَدَ

الْجِنِّيَّـةِ عَشْرَ مرَّات ، وَوَدَّعَهـا وَسَارَ عائِدًا إِلَى بلَدِه ، وَمَعَهُ اللَّيْمُونات الثَّلاث ، وَهُوَ يُحافِظُ عَلَيْها مُحافَظَتَهُ على عَيْنَيْه .



وَبعْدَ جَهْدٍ وَمشَقَّـة ، وَصَلَ إِلَى وَطَنِه ، وَحِينَما كانَ عَلَى بُعْدِ ساعَتَيْنِ مِنْ قَصْرِ أَبِيه ، مَرَّ بِغابَةٍ كَـثِيفَةَ ، طَالَمَا اسْتَسْلَمَ فِيها إِلَى الصَّيْدِ والْقَنْص ، فَجَلَسَ قُرْبَ عَيْنِ ماءٍ صَافٍ ، يَسْتَرِيحُ عِنْدَها مِنْ عَناءِ السَّفَر ، ثُمَّ أَخْرَجَ سِكِّينَهُ وَقَطَعَ بِها إِحْـدَى اللَّيْمُونات ، فلاحَتْ لَهُ عَلَى الْفَوْرِ فَتاةٌ بَيْضاءُ كاللَّبَن ، حَمْراءُ كالْـكَرَز ، وَقالَتْ لَه :

« اِسْقِنِي أَيُّها الْأَمِير » .

فَصاحَ الْأَمِيرُ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ مَأْخُوذٌ بِفِتْنَةِ الْفَتاةِ وَجَمالِها .

وَقَدْ نَسِيَ نَصائِـحَ الْجِنِّـيَّة :

— « رَبَّاهُ ما هٰذا الْجَمال ؟! »



وَفِى تِلْكَ اللَّحْظَةِ غابَتِ الْفَتاةُ عَنْ عَيْنَيْه ، فَلَطَمَ وَجْهَه ، وَكانَتْ دَهْشَتُه ، دَهْشَةَ طِفْلٍ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُلَ الْماءَ بِأَصابِـعِ كَـفِّه الْمَفتُوحَة .

حاوَلَ أَنْ يُخَفِّفَ مِن اضطِرابِه ، فَعَمَدَ إِلَى اللَّيْمُونَةِ الثَّانِيَةِ وَقَطَعَها ، فَلاحَتْ لَهُ أَمَامَ ناظِرَيْهِ فَتاةٌ أَجْمَـلُ مِنَ الأُولَى ، فَحَدَّقَ الأَمِيرُ إِلَى ذٰلِكَ الْجَمالِ مَدْهُوشاً ، وَلٰـكِنَّ الْفَتاة تَوارَتْ مِنْ أَمامِهِ فِى طَرْفَةِ عَيْن .

فَأَجْهَشَ الأَمِيرُ فِى هٰذِهِ الْمَرَّةِ بِالْبُكَاء ، وانْسَكَبَتْ دُمُوعُهُ عَلَى خَدَّيْهِ انسِكابَ ماءِ الْعَيْنِ الْجالِسِ فِى ظِلالِها ، وَأَخَذَ يَنْتَحِبُ وَيَشُدُّ شَعْرَه ، وَيَسْتَنْزِلُ عَلَى نَفْسِهِ جَمِيعَ لَعَناتِ السَّماءِ وَيَقُول :

— « يا لَحُمْقِى وَغَباوَتى ! كَـيْفَ أَدَعُ الْفَتاتَـيْنِ تَفِرَّانِ مِـنِّى كَأَنَّ يَدَىَّ مَرْبُوطَتان ، وَلٰـكِنْ لا بَأْس ، فَلَمْ يَضِـعِ الأَمَلُ إِلَّا إِذا خانَتْـنِى السِّـكِّينُ الَّـتِى أَعْطَتْنِى إِيَّاها الْجِنِيَّـة » .

قالَ هٰذا وَتناوَلَ السِّكّين ، وَقطَعَ بِهـا اللَّيمُونَةَ الثّالِثَة ، فظَهَرَتْ مِنْها جِنِّيَّةٌ رائِعَةُ الْجَمال ، وَقالَتْ لَهُ ما قالَتْهُ زَمِيلَتاها :

« اِسْقِني ».

فقدَّمَ لَها الْماءَ عَلَى الْفَوْر ، فَشرِبَتْ وَمَكَثَتْ تنظُرُ إِلَيْهِ في فِتْنَةٍ وَدَلال ، وَمَكَثَ هُوَ ينظُرُ إِلَيْها مفتُونًا بِجَمالِها السّاحِرِ الْخَلّاب ، وَبِبَشرَتِها الْبَيْضاء ، وَخَدَّيْها الْمُشْرِقَيْنِ بِلَوْنِ الْوَرْد ، وَشَعْرِها الذَّهَبِيّ ، وَعَيْنَيْها الزَّرْقاوَيْن ، وَشَفَتَيْها الْوَرْدِيَّتَيْنِ اللَّتَيْنِ لا تُفْتَحانِ إِلّا لِمَعْسُولِ الْكَلام .

أَخَذَ الْأَمِيرُ يُطِيلُ النَّظَرَ إِلَى خَطِيبَتِهِ الْحَسْناء ، وَيَسْتَغْرِبُ كَيْفَ بَرَزَتْ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةُ الْخارِقَةُ مِنْ وَسْطِ لَيْمُونَة ، فَقالَ في نَفْسِه :

– « أَيَقْظانُ أَنا أَمْ نائِمٌ يَحْلُمُ جَمِيلَ الْأَحْلام ، فَإِنْ كُنْتُ



هٰذا النَّائِم ، فَرَبَّاهُ رُحْماكَ لا توقِظْنِي » .

فابْتَسَمَتْ لَهُ الْفَتَاةُ ابْتِسامَةً حُلْوَة ، فَهَدَأَ رَوْعُه ، وَأَدْرَكَ أَنَّهُ غَيْرُ حالِم ، وَلا سِيَّما حِينَ طَلَبَتْ إِلَيْهِ أَنْ يَذْهَبا إِلَى أَبِيهِ الْمَلِك ، لِيُبارِكَ وَلَدَيْه ، فَقالَ لَهَا الأَمِير :

– « يا عَزِيزَتِي ! أَنا مِثْلُكِ فِي شَوْقٍ إِلَى رُؤْيَةِ أَبِي ، وَلٰكِنَّنا لا نَسْتَطِيعُ دُخُولَ الْقَصْر ، فِي زِيِّ مَخْلُوقَيْنِ عادِيَّيْن ، كَأَنَّهُما راجِعَانِ مِنَ الْحَقْل ، فَيَجِبُ أَنْ تَصِلِي إِلَى الْقَصْرِ وُصُولَ أَمِيرَةٍ مِنَ الأَمِيرات ، وَيَجِبُ أَنْ تُسْتَقْبَلِي فِيهِ اسْتِقْبَالَ الْمَلِكات ، فانْتَظِرِيِ هُنا أَعُدْ إِلَيْكِ بَعْدَ أَقَلَّ مِنْ ساعَتَيْن ، بِثِيابٍ فاخِرَةٍ لائِقَة ، وَبِحاشِيَةٍ لَنْ تَنْفَصِلَ عَنْكِ بَعْدَ الْيَوْم » .

وَقَبَّلَ يَدَها وَسارَ فِي طَرِيقِ الْقَصْر .

بَقِيَتِ الْفَتاةُ وَحْدَها فاسْتَوْحَشَتْ وَخافَت ، وَنَظَرَتْ حَوْلَها فَرَأَتْ بِقُرْبِ عَيْنِ الْماء ، شَجَرَةَ سِنْدِيانٍ قَدِيمَة ، قَدْ حَفَرَ

الزَّمَانُ فِي وَسْطِهَا حُفْرَةً كانَتْ لَهَا مَلْجَأً صَعِدَتْ فِيه، واخْتَبَأَتْ وَلَمْ يَبْرُزْ مِنْ مَخْبَئِهَا إِلَّا رَأْسُهَا الْجَمِيل ، يُحِيطُ بِهِ وَرَقُ الشَّجَرَة ، وَيَنْعَكِسُ نُورُ وَجْهِهَا عَلَى ماءِ النَّبْعِ الشَّفَّاف ، كَأَنَّهُ مِرْآةٌ صافِيَة .

وَكانَ فِي ضاحِيَةِ ذٰلِكَ الْمَكان ، جارِيَةٌ قَبِيحَةُ الْمَنْظَر ، تُرْسِلُهَا سَيِّدَتُهَا كُلَّ صَباحٍ إِلَى النَّبْع ، تَمْلَأُ مِنْهُ جَرَّةَ ماء ، فَجاءَت ، عَلَى عادَتِهَا ، تَحْمِلُ جَرَّتَهَا عَلَى كَتِفِهَا ، وَحِينَما بَدَأَتْ تَمْلَؤُها رَأَتْ صُورَةَ الْجِنِّيَّةِ فِي الْمَاء ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ رَأَتْ وَجْهَهَا فِي الْمِرْآةِ قَطّ ، فَظَنَّتِ الْغَبِيَّةُ أَنَّ الصُّورَةَ صُورَتُها فَصاحَتْ تَقُول :

— « وَيْلِي ما أَشْقانِي ! أَأَكُونُ عَلَى مِثْلِ هٰذا الْجَمالِ والْإِشْرَاق ، وَتَبْعَثُنِي سَيِّدَتِي أَسْتَقِي لَهَا الْمَاء ، وَأَحْمِلُهُ إِلَيْهَا كَأَنَّنِي الْحِمارُ الْبَلِيد ؟ ! كَلَّا إِنَّ هٰذا لَنْ يَكُون » .

وَعمَدَتْ فِى سَوْرَةِ غضَبِها إِلَى الْجَرَّةِ فَكَسَرَتْها ، وَعَادَتْ إِلَى سَيِّدَتِها صَفْرَ الْيَدَيْن ، فاسْتاءَتْ هٰذِهِ مِنْها ، وَأَشارَتْ إِلَى بِرْمِيلٍ صَغِير ، وَأَمَرَتْها أَنْ تَذْهَبَ بِهِ إِلَى الْعَيْنِ وَتَمْلَأَهُ » .

فَمَشَتِ الْجارِيَةُ إِلَى الْعَيْن ، وَلَمّا رَأَتِ الصُّورَةَ الْجَمِيلَةَ تَتَراقَصُ عَلَى صَفْحَةِ الْماء ، تنَهَّدَتْ وَقالَت :

– « لَسْتُ بِقِرْدٍ كَما يَقُولُونَ لِى دائِماً ، فَإِنِّى أَجْمَلُ مِنْ سَيِّدَتِى ، وَلا يَحْمِلُ الْبِرْمِيلَ إِلَّا الْحَمِير » .

فَأَلْقَتِ الْبِرْمِيلَ عَنْ كَتِفِها ، وَحَطَّمَتْهُ إِلَى أَلْفِ قِطْعَة ، وَرَجَعَتْ إِلَى سَيِّدَتِها تَقُولُ لَها ، إِنَّ حِمارًا مُتَوَحِّشًا قَدِ اصْطَدَمَ بِهَا فَوَقَعَ الْبِرْمِيلُ وَتَحَطَّم ، فاسْتَشاطَتْ سَيِّدَتُها عِنْدَئِذٍ غَيْظًا ، وَأَهْوَتْ عَلَيْها تَضْرِبُها وَتَرْكُلُها ثُمَّ انْتَزَعَتْ قِرْبَةً كانَتْ مُعَلَّقَةً عَلَى الْحائِط ، وَقالَتْ لِجارِيَتِها :

– « خُذِى هٰذِهِ الْقِرْبَة ، وَسارِعِى إِلَى الْعَيْن ، فَإِذا لَمْ تَعُودِى





بَعْدَ قَلِيل ، بِهٰذِهِ الْقِرْبَةِ مَمْلُوءَةً بِالْماء ، فَسَوْفَ أُلْقِى عَلَيْكِ دَرْسًا لَنْ تَنْسَيْهِ مَدَى حَيَاتِك » .

فاضطَّرَبَتِ الْجارِيَةُ وَخافَتْ لَمّا رَأَتْ سَيِّدَتَها يَتَطايَرُ الشَّرَرُ مِنْ عَيْنَيْها ، وَخَفَّتْ إِلَى الْعَيْنِ تَمْلأُ الْقِرْبَةَ مِنْها فامْتَلأَت ، وَلٰكِنْ تَذَكَّرَتْ هُنا سَيِّدَتَها وَقَسْوَتَها فَثارَتْ عَلَيْها وَقالَتْ مُغْضَبَة :

— « كَلاَّ ! ما أَنا بِحَمَّالَةِ ماء ، إِنِّى سَأَنْفُقُ مِثْلَما تَنْفُقُ الْكِلابُ فِى خِدْمَةِ سَيِّدَةٍ شَرِسَة ! »

فَسَحبَتْ مِنْ رَأْسِها دَبُّوسًا كَبِيرًا كانَ يُمْسِكُ شَعْرَها، فَثَقَبَتْ بِهِ الْقِرْبَةَ ثُقُوبًا كَثِيرَة، جاعِلَةً مِنْها رَشَّاشَةً يَتَدَفَّقُ مِنْها الْماءُ سُيُولاً مُتَعَدِّدَة .

وَسَرَّ الْفَتاةَ الْجِنِّيَّةَ الْمُخْتَبِئَةَ فِى الشَّجَرَةِ ذٰلِكَ الْمَنْظَر ، فَقَهْقَهَتْ ضاحِكَة ، فَرَفَعَت الْجارِيَةُ نَظَرَها إِلَى الشَّجَرَة ، وَوَقَعَ عَلَى الْفَتاةِ الْجَمِيلَة ، فَفَهِمَتْ كُلَّ شَىْء ، وَعَزَمَتْ فِى نَفْسِها أَنْ تَنْتَقِمَ مِنْ هٰذِهِ الْحَسْناءِ الَّتِى تَسَبَّبَتْ فِى ضَرْبِها ، غَيْرَ أَنَّها أَخْفَتْ عَزْمَها وَقالَتْ لِلْفَتاةِ بِصَوْتٍ حُلْوٍ ناعِم :

— « ماذا تَفْعَلِينَ فَوْقَ الشَّجَرَةِ يا فَتاتى ؟! »

وَكانَتِ الْفَتاةُ رَقِيقَةَ الشُّعُور ، فَأَخَذَتْ تُجاذِبُ الْجارِيَةَ أَطْرافَ الْحَدِيث ، وَتُعَزِّيها عَمّا أَصابَها ، ثُمَّ حَدَّثَتْها عَنِ الأَمِيرِ

وَما جَرَى لَها مَعَه ، وَكَيْفَ أَنَّهُ سَيأْتِى عَمّا قَرِيب ، فِى مَوْكِبٍ حافِلٍ، لِيَصْحَبَ خَطِيبَتَهُ إِلَى الْمَلِك، وَيتزَوَّجَها فِى حَضْرَتِهِ وَحَضْرَةِ رِجالاتِ الْبَلاط .



اِسْتَمَعَتِ الْجارِيَةُ لِلْفَتَاة ، وَأَلْهَمَها الْخُبْثُ والدَّهاءُ بِأَمْرٍ مِنَ الأُمُور فَقالَتْ لَها :

– « يا ابْنَتِي ؛ إِنَّ خَطِيبَكِ قادِمٌ إِلَيْكِ فِى حاشِيَةٍ كَبِيرَة ،

فَيَجِبُ أَنْ تَتَجَمَّلِي قَبْلَ وُصُولِه ، فَدَعِينِي أَصْعَدْ إِلَيْكِ وَأُهَيِّئُ لَكِ شَعْرَكِ » .

فَقالَتْ لَها الْفَتاةُ وَهِيَ تَبْتَسِم :

– « أَقْبِلِي إِقْبالَ الرَّبِيع » .

وَمَدَّتْ لَها يَدَها فَتَشَبَّثَتْ بِها الْجَارِيَة ، وَصارَتْ بَعْدَ لَحَظاتٍ إِلَى جانِبِ الْفَتَاة ، فَما كادَتْ تَصِلُ إِلَيْها حَتَّى حَلَّتْ شَعْرَ الْفَتاة ، وَأَخَذَتْ تُجْرِي الْمُشْطَ فِيه ، ثُمَّ أَمْسَكَتْ فَجْأَةً بِدَبُّوسِها الْكَبِير ، وَغَرَزَتْهُ فِي رَأْسِ الْجِنِّيَّةِ اللَّطِيفَة ، فَلَمّا شَعَرَتْ هٰذِهِ بِأَلَمِ الْوَخْزَةِ صاحَتْ تَقُول :

– « يا لُمبْ ! يا لُمبْ ! »

وَعَلَى الْأَثَر ، تَحَوَّلَتْ إِلَى حَمامَةٍ انْطَلَقَتْ طائِرَةً فِي الْفَضاء ، فِي حِينَ جَلَسَتِ الْجارِيَةُ الشَّنْعاءُ فِي مَكانِ ضَحِيَّتِها .

وَكانَ الْأَمِيرُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَة ، راكِبًا ظَهْرَ جَوادٍ أَصِيلٍ

يُسابِقُ بِهِ الرِّيحَ إِلَى خَطِيبَتِهِ ، فَحِينَما بَلَغَ الْعَيْنَ ، وَتَطَلَّعَ إِلَى الشَّجَرَةِ ، وَعَلِقَ بَصَرُهُ بِالْجارِيَةِ قال : لَقَدْ تَرَكْتُ حَمامَةً وَدِيعَةً انْقَلَبَتْ إِلَى غُرابٍ شَنِيعٍ ، فَكادَ يُصْعَقُ مِنْ هَوْلِ الْمُفاجَأَةِ ، وَحاوَلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَلٰكِنَّ الدُّمُوعَ خَنَقَتْهُ فَبَقِيَ صامِتاً يُجِيلُ بَصَرَهُ فِي جَمِيعِ الْأَنْحاءِ لَعَلَّهُ يَقَعُ عَلَى حَبِيبَتِهِ .

أَمَّا الْجارِيَةُ الشَّنْعاءُ ، فَتَظاهَرَتْ بِالْأَلَمِ وَالْعَذابِ ، وَقالَتْ لَهُ وَعَيْناها مُغْمَضَتان :

– « لا تُطِلِ الْبَحْثَ يا أَمِيرِي ، فَإِنَّ جِنِّيَّةً شِرِّيرَةً جَعَلَتْ مِنِّي ضَحِيَّتَها ، وَحَوَّلَتْ جَمالَ خَطِيبَتِكَ إِلَى هٰذِهِ الْبَشاعَةِ » .

فَلَعَنَ الْأَمِيرُ الْجِنِّيّاتِ الشِّرِّيرات ، وَلٰكِنَّهُ أَبَى أَنْ يَنْكُثَ عَهْدَهُ ، فَساعَدَ الْجارِيَةَ عَلَى النُّزُولِ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَزَفَراتُهُ تَكادُ تَقْتَلِعُ شَجَرَ الْغابَةِ ، وَبَعْدَ أَنْ وَصَلَتِ الْحاشِيَةُ ، وَأَلْبَسُوا

الْجارِيَةَ مَلابِسَ الْأَمِيرات ، وَزَيَّنُوها بِالذَّهَبِ والْجَواهِرِ ، أَجْلَسَها الْأَمِيرُ إِلَى يَمِينِه ، فِي مَرْكَبَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ الْبِلَّوْر ، تَجُرُّها سِتَّةُ جِيادٍ بِيض ، وَسارَ الْمَوْكِبُ إِلَى الْقَصْر ، والْأَمِيرُ حَزِينُ النَّفْسِ حَتَّى الْمَوْت .

وَكانَ الْمَلِكُ يَنْتَظِرُ ابْنَهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الْقَصْر ، مَشْغُوفًا بِأَنْ يَرَى تِلْكَ الدُّرَّةَ الثَّمِينَةَ الَّتِي وَصَفَها لَهُ ابْنُه ، فَلَمّا رَآهُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ هُوَ وَعَرُوسُه ، ضَرَبَ بِالْمَراسِمِ الْمَلَكِيَّةِ عُرْضَ الْحائِط ، وابْتَعَدَ مِنْ رِجالاتِ الْبَلاطِ الَّذِينَ كانُوا مُحِيطِينَ بِه ، وَسارَعَ إِلَى لِقاءِ الْمَوْكِب ، مُشْتاقًا إِلَى أَنْ يُنْعِمَ النَّظَرَ بِجَمالِ عَرُوسِ ابْنِه ، فَخابَ ظَنُّه لَمّا رَأَى أَنَّ الْحَمامَةَ الْحَسْناءَ لَمْ تَكُنْ إِلّا بُومَةً قَبِيحَة ، فَصاحَ قائِلاً :

– « يا لَلدّاهِيَة ! نَعَمْ إِنّى لأَعْلَمُ أَنَّ ابْنِى مَجْنُون ، وَلٰكِنَّهُ صَحِيحُ الْبَصَرِ غَيْرُ أَعْمَى ! فَهَلْ هٰذِهِ هِىَ الزَّنْبَقَةُ الَّتِي

ذَهَبَ يبْحَثُ عَنهَا فِى أَقَاصِى الْبِلَاد ؟ وَهَلْ هٰذِهِ هِىَ الْوَرْدَةُ الَّتِى يفُوقُ جَمَالُهَا جَمَالَ الْفَجْر ؟ وَهَلْ هٰذِهِ هِىَ رَبَّةُ الْحُسْنِ الَّتِى خَرَجَتْ مِنْ لَيْمُونَه ؟ وَهَلْ يظُنُّونَ أَنِّى أَقْبَلُ هٰذِهِ الْإِهَانَةَ الَّتِى يَرْمُونَ بِهَا شَيْخُوخَتِى وَمَشِيبِى ؟ وَهَلْ يَعْتَقِدُونَ أَنِّى أَتْرُكُ مَمْلَكَتِى الَّتِى وَرِثْتُهَا عَنْ أَجْدَادِى الْعِظَام ، إِلَى ابْنٍ أَحْمَقَ أَعْمَى جَاهِل ؟ إِنِّى لَا أُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ هَذِه الْقِرْدَةُ مَمْلَكَتِى ! »

فَارْتَمَى الْأَمِيرُ عِنْدَ قَدَمَىْ أَبِيهِ الْمَلِك ، مُحَاوِلاً أَنْ يَثْنِيَهُ عَنْ رَفْضِه ، وَأَخذَ رَئِيسُ الْوُزَرَاء ، وَكَانَ رَجُلًا حَكِيماً خَبِيرًا بِشُؤُونِ الْحَياةِ وَالنَّاس ، يَنْصَحُ الْمَلِكَ بِالْمُوافقَةِ عَلى زَوَاجِ ابْنِه ، فَمَا بَيْن طَرْفَةِ عَيْنٍ وَانْتبَاهَتِها ، يُغَيِّرُ اللّٰهُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَال ، وَينْقَلِبُ الْقُبْحُ جَمالاً ، فَأَذْعَنَ الْمَلِكُ فِى آخِرِ الْأَمْرِ لِرَجَاء ابْنِهِ وَالْوَزِير ، وَوَافَقَ مُكْرَهًا مُتَضَايِقاً



عَلَى هذَا الزَّوَاجِ الْغَرِيب ، وَقَرَّرَ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ثَمانِيَةِ أَيَّام ، وَغَرَضُهُ أَنْ يَتَّسِعَ الْوَقْتُ لِإعْدَادِ مِهْرَجَانِ الْعُرْسِ الْعَظِيم .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْعَمَلُ قَائِماً عَلَى قَدَمٍ وَسَاق ، وَقَفَتْ ذَاتَ صَبَاحٍ حَمَامَةٌ زَرْقَاءُ الجنَاحَيْن ، عَلَى نَافِذَةٍ مِنْ نَوَافِذِ المَطْبَخ ، وَشَرَعَتْ تُغَنِّى بِصَوْت فِيهِ عُذُوبَة ، وَفِيهِ تَنَهُّدٌ وَشَكْوَى وَهِىَ تَقُول :

— «رُوكُو ، رُوكُو ، رُوكُو ، أَيُّها الطَّاهِى الْكَبِير ! حَدِّثْنِى عَنْ أَخْبَارِ الْجَارِيَةِ والْأَمِير ! »

ذَهِلَ رَئِيسُ الطُّهَاةِ لَمّا سَمِعَ حَمامَةً تَتَكَلَّم ، فَأَسْرَعَ بِخَبرِ بِذلِكَ سَيِّدَتَهُ الْجَدِيدَة ، فَنَزَلَتْ مُسْرِعَةً إِلَى الْمَطْبَخِ ، وَسَمِعَتْ غِنَاءَ الْحَمامَةِ وَأَقْوالَها ، فَأَمَرَتْ أَنْ تُمْسَكَ وَتُذْبَح ، فَأَمْسَكَها رَئِيسُ الطُّهَاةِ فَلَمْ تُقَاوِمْهُ ، فَذَبَحها وَرَمَى بِها فِى الْحَدِيقَة ، فَنَزَلَ مِنْها ثَلَاثُ نُقَطِ دَم ، اِنْبَثَقَتْ مِنَ الْأَرْضِ فِى



مَكانِها بَعْدَ ثلاثَةِ أيَّام ، شَجَرَةُ لَيْمُون ، ظَلَّتْ تَكْبَرُ وَتَكْبَرُ إلَى أَنِ امْتَلأَتْ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْس بِزَهْرِ اللَّيْمُون .

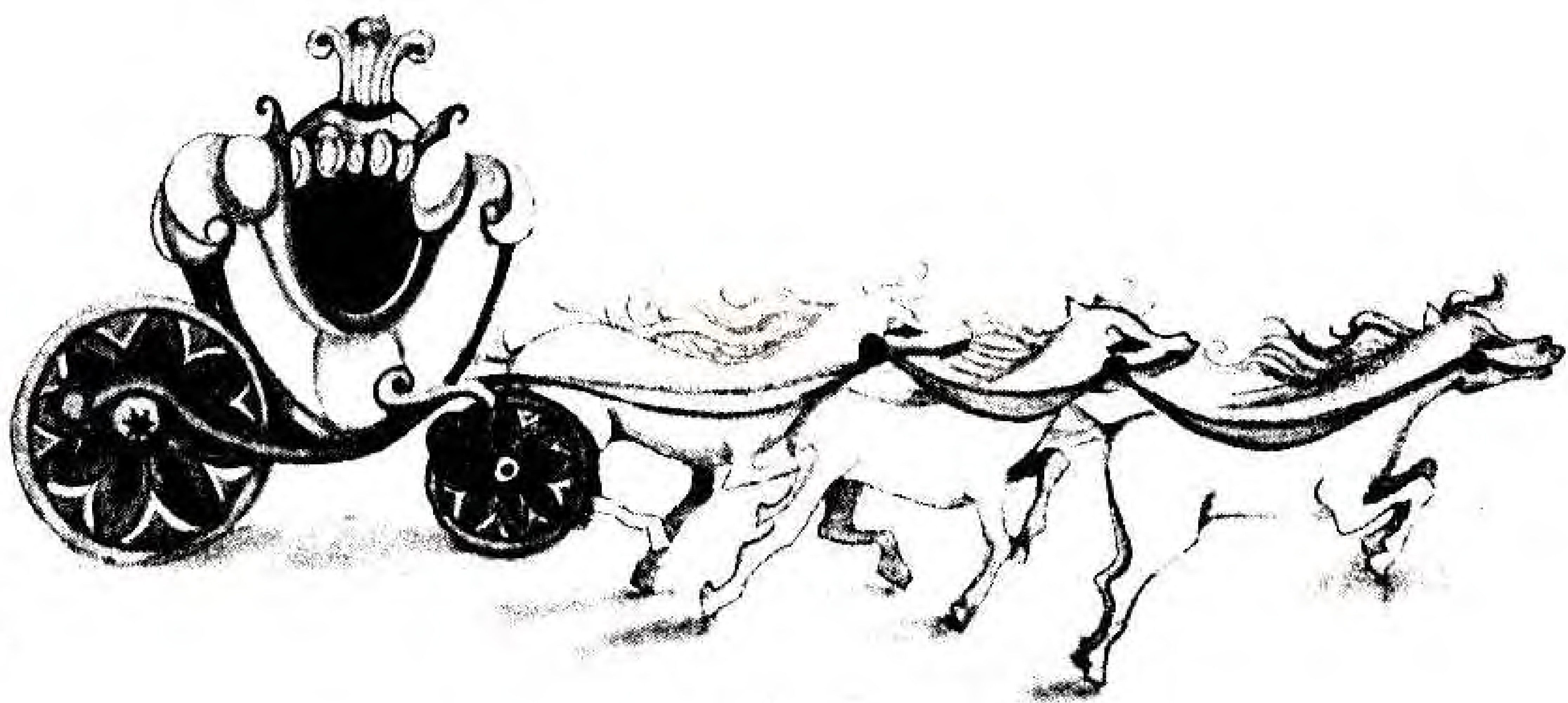
وَاتَّفَقَ أَنْ خَرَجَ الْأَمِيرُ فِى الْمَسَاء ، إلَى الشُّرْفَةِ يَسْتَنْشِقُ النَّسِيم ، فَشاهَدَ هٰذِهِ الشَّجَرَةَ الَّتِى لَمْ يَرَها قَطُّ مِنْ قَبْل ، فَأَرْسَلَ يَدْعُو رَئِيسَ الطُّهاةِ إلَيْه ، فَلَمَّا عَلِمَ مِنْهُ حِكايَتَها ، أَصْدَرَ أَمْرًا يُحَرِّمُ الاِقْتِرابَ مِنْ شَجَرَةِ اللَّيْمُونِ هٰذِهِ.

وفى صَباحِ الْيَوْمِ التَّالى، جرَى الأَميرُ إِلَى الْحَدِيقَة ، فوَجدَ عَلَى الشَّجَرَةِ ثَلاثَ لَيْمُونات ، شَبِيهَةً بِتِلْكَ الَّتِي أَهْدَتْها لَهُ الْجِنِّيَّة ، فَقَطَفَ الأَميرُ اللَّيْمُوناتِ الثَّلاث ، وَدَخَلَ مِخْدَعَهُ وَأَقْفَلَ الْبابَ عَلَيْه .

وَبِيَدٍ مُضطَّرِبَة ، تناوَلَ كَأْسًا مِنَ الذَّهَب ، مُرَصَّعًا بِالْحِجارَةِ الْكَرِيمَةِ وَمَلأَهُ ماء ، وَأَخْرَجَ السِّكّين الَّتِي ما كانَتْ تُفارِقُه ، وَقَطَعَ بِها إِحْدَى اللَّيْمُونات ، فَبَرَزَتْ مِنْها الْفَتاةُ الْجِنِّيَّةُ الأُولَى ، فَكادَ الأَميرُ لا يَنْظُرُ إِلَيْها وَتَرَكَها تَطِير ، وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ بِفَتاةِ اللَّيْمُونَةِ الثَّانِيَة ، وَلَكِنْ ما هُوَ أَنْ تَبْرُزَ الْفَتاةُ الثَّالِثَة ، حَتَّى قَدَّمَ لَها كَأْسَ الْماء ، فَشَرِبَتْ مُبْتَسِمَة ، وَكانَت مِثْلَما عَرَفَها حُسْنًا وَرَوْعَةَ جَمال .

فَقَصَّتْ عَلَيْهِ الْفَتاةُ ما فَعَلَتْهُ بِها الْجارِيَةُ الشَّنْعاء ، وَما تَحَمَّلَتْهُ بِسَبَبِها مِنْ عَذاب ، فَغَضِبَ وَثار ، وَبَكَى وابْتَسَم ،

وَمَلأَ الْقَصْرَ صُراخًا وَهُوَ فَرِحٌ غضْبان ، فَهرِعَ الْملِكُ إِلَيْهِ مدْهُوشًا ، فلَمّا رأَى الْفتَاةَ الْحَسْناء ، كادَ يفْقِدُ رُشْدَه ، وَأَخذَ يرْقُصُ وَيُغنّى طَرَبًا وَسُرُورًا ، ثُمَّ وَقفَ فجْأَة ، وَقطَّبَ حاجِبَيْه ، وتِلْكَ عادَتُهُ عِنْدَما يَسْتَسْلِمُ إِلَى التَّفْكير ، وَأَلْقَى عَلَى عرُوسِ ابْنِهِ غِلالَة ، سَتَرَتْهَا إِلَى الْقدمَيْن ، وأَمْسكَهَا مِنْ يدِهَا ، وَسارَ بِهَا إِلَى قَاعَةِ الطَّعام ، وَكَانَت غَاصَّةً بِالْأَعْيَانِ وَرِجَالاَتِ



الْبَلَاطِ وَالْوُزَرَاء ، ينْتَظِرُونَ قُدُومَ الْملِكِ لِيَتَنَاوَلُوا معَهُ طَعَامَ الإِفْطَار ، فَدَعَا الْمَلِكُ كُـلاًّ مِنهُمْ إِلَيْهِ عَلَى التَّوالِى ، فَلَا يَـكَادُ الْقَادِمُ يَصِلُ إِلَى حَيْثُ تَقِفُ الْفَتَاة ، حَتَّى يُزِيحَ الْمَلِكُ الْغِلاَلَةَ عَنْهَا وَيَسْأَلَ الْقَادِم :

– « مَنْ أَرَادَ طَمْسَ هٰذِهِ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَة ، فَأَىُّ قِصَاصٍ يَسْتَحِقّ ؟ »

فَكَانَ كُلٌّ يُجِيبُ وَفْقَ هَوَاه ، فَلَمَّا جَاءَتْ نَوْبَةُ الْجَارِيَةِ الشَّنْعَاء ، اقْتَرَبَتْ مِنَ الْفَتَاةِ بِغَيْرِ حِرْصٍ وَلاَ حَذَر ، وَلَمْ تَعْرِفْها ، فَقَالَتْ تُخَاطِبُ الْمَلِك :

– « مَوْلَاى ! إِنَّ الْوَحْشَ الَّذِى عَذَّبَ هٰذِهِ الْفَتَاةَ الْجَمِيلَة ، يَسْتَحِقُّ وَلا شَكَّ أَنْ يُحْرَقَ حَيًّا ، فِى فُرْنٍ مِن الأَفْرَان ، وَأَنْ يُذْرَى رَمَادُهُ فِى كُلِّ رِيح » .

فَصَاحَ الْمَلِك :

- « إنَّكِ حَكَمْتِ عَلَى نفْسِك بنفسِك ، فَانْظُرِى أَيَّتُهَا الْمَلْعُونَةُ إِلَى ضَحِيَّتِك ، واعْرِفِيهَا وَاسْتَعِدِّى لِلْمَوْت ! »

فَخَطَتِ الْفَتَاةُ الطَّيِّبَةُ إِلَى الْمَلِكِ خُطْوَتَيْن ، وَأَمْسَكَتْ بِيَدِهِ وَقَالَتْ :

- « مَوْلاى ! هَلْ لِى أَنْ أَطْلُبَ إِلَيْكَ هَدِيَّةً مِنْ هَدايا عُرْسِى ؟ »

فَقالَ الْمَلِكُ الشَّيْخ :

- « اُطْلُبِي ما شِئْتِ أَمْنَحْكِ إِيَّاهُ رَاضِيًا مَسْرُورًا، وَلَوْ كانَ تاجَ مُلْكِى » .

فَقالَت :

- « امْنَحْنِى الْعَفْوَ عَنْ هٰذِهِ الْمِسْكِينَة ، فالشَّقاءُ والْجَهْلُ عَلَّماها الْحَسَدَ والْحِقْدَ عَلَى النَّاس ، فاتْرُكْنِى أَجْعَلْها سَعِيدَة ، وَأُعَلِّمْها أَنَّ الْحُبَّ مَجْلَبَةٌ لِلسَّعادَةِ فِى هٰذِهِ الدُّنْيا » .

فَقالَ الْمَلِك :

– « حَقاً إنَّكِ يا ابْنَتِي لَجِنِيَّةٌ طَيِّبَةُ الْقَلْب، لا تَدْرِى شَيْئاً عَنْ عدالَةِ الْبَشر ؛ وَكَيْفَما كانَ الْأَمْر، فَقَدْ وَعَدْتُكِ أَنْ أَمْنَحَكِ ما تَطْلُبِين ، فَخُذِى هٰذِهِ الْحَيَّةَ الرَّقْطاء ، وَرَوِّضِيها ما شِئْت ، وَلٰكِنِ احْذَرِيها كُلَّ الْحَذَر » .

فَأَقْبَلَتِ الْفَتاةُ عَلَى الْجارِيَةِ الشِّرِّيرَةِ فَأَنْهَضَتْها ، وَقَبَّلَتْ هٰذِهِ يَدَيْها وَهِىَ تَبْكِى، ثُمَّ جَلَسَ الْقَوْمُ إِلَى الْمائِدَة ، يَتَناوَلُونَ طَعامَ الْإِفْطار ، وَكانَ الْمَلِكُ فَرِحًا مُغْتَبِطًا ، فَأَكَلَ أَكْلَ أَرْبَعَةِ رِجال .



أَمَّا الْأَمِير، وَكانَ لا يَنْظُرُ إِلَّا إِلَى خَطِيبَتِه ، فَقَدْ جُرِحَ



إصْبَعَهُ غَيْرَ مرَّة ، وَكانَ مَعَ ذٰلِكَ مَرِحًا كُلَّ الْمَرَح ، فالْقَلْبُ الرَّاضِي يَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْحَياةِ جَمِيلا .

وَلَمَّا ماتَ الْمَلِكُ الشَّيْخُ مُثْقَلًا بِالسِّنِينَ والْمَجْد ، خَلَفَهُ الْأَمِيرُ وَزَوْجَتُهُ عَلَى الْعَرْش ، وَكانا رَحِيمَيْنِ عادِلَيْنِ ، وَحَكَما نَحْوَ نِصْفِ قَرْن ، لَمْ يَذْرِفِ الشَّعْبُ فِيهِ دَمْعَةً واحِدَة ، وَلا سالَتْ مِنْهُ نُقْطَةُ دَم ، وَما زالَتِ الْأَجْيالُ الَّتِي تَتابَعَتْ مِنْ هٰذا الشَّعْب ، تَذْكُرُ بِالْخَيْرِ الْعَمِيمِ ذٰلِكَ الْعَهْدَ الْجَمِيلَ السَّعِيد...

أَسئلة فى القصة

١ ـ ماذا كان الملك يتمنى وما كانت أَحلامه ؟

٢ ـ ما الذى جعل ابن الملك يغير تفكيره فى الزواج ؟

٣ ـ ماذا قال له أَبوه عندما علم برغبته فى السفر ؟

٤ ـ ما الفرق بين بكاء الأَطفال وبكاء الرجال ؟

٥ ـ بأَى بلاد مرّ الأَمير فى طريقه إلى الشرق الأَقصى ؟

٦ ـ من لمح الأَمير عندما كان يتمشى على الشاطئ ؟

٧ ـ أَى شىء رأَى الأَمير فى الكوخ الذى عثر عليه ؟

٨ ـ إلى ماذا كانت ترمز الجنيات الثلاث ؟

٩ ـ ماذا أَعطت أَصغر الجنيات الأَمير وبماذا أَوصته ؟

١٠ ـ هل عمل الأَمير بنصيحة الجنية الصغيرة ؟

١١ ـ ماذا قال الأَمير لخطيبته قبل أَن يصحبها إلى قصر أَبيه ؟

١٢ ـ ماذا حدث للخطيبة بعد ابتعاد خطيبها منها ؟

١٣ ـ كيف أَدركت الجارية الشريرة أَن هناك أَحدًا ينظر إليها ؟

١٤ ـ أَفرح الملك عندما استقبل ابنه وخطيبته أَم حزن ؟ ولماذا ؟

١٥ ـ كيف كشف أَمر الجارية الشريرة ؟

١٦ ـ لو أَردنا أَن نرمز إلى الخير والشر فبمن نرمز إليه من أَشخاص هذه القصة ؟

١٧ ـ اكتب القصة بأُسلوبك وإنشائك.